

الدرس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله وسلم عليه- وعلى آله وأصحابه أجمعين- ، أما بعد:

فيقول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - يقول في كتابه القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن:

القاعدة الخامسة عشرة:

جعل الله الأسباب للمطالب العالية مبشرات لتطمئن القلوب وزيادة الإيمان.. وهذا في عدة واضح من كتابه:

فمن ذلك: النصر، قال في إنزاله الملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال: ١٠].

وقال في أسباب الرزق ونزول المطر: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الروم: ٤٦].

وأعم من ذلك كله قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]

وهي كل دليل وعلامة تدلهم على أن الله قد أراد بهم الخير وأنهم من أوليائه وصفوته أفيدخل فيه الثناء الحسن والرؤية الصالحة أ

ويدخل فيه ما يشاهدونه من اللطف والتوفيق واليسير لليسرى وتجنيبهم العسرى.

ومن ذلك: بل من أطف ذلك: أنه يجعل الشدات مبشرة بالفرج والعسرى مؤذنا باليسر وإذا تأملت ما قصه عن أنبيائه وأصفيائه، وكيف لما اشتدت بهم الحال وضائق بهم الأرض بما رحبت؛ ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]

رأيت من ذلك العجب العجاب

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦٥]، ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا)) وأمثلة ذلك كثيرة، والله أعلم.

هذه القاعدة "الخامسة عشرة" من القواعد الحسان المتعلقة بآيات القرآن، يقول رحمه الله: **جعل الله الأسباب للمطالب العالية مبشرات لتطمئن القلوب وزيادة الإيمان.**

هذا أصل مستفاد من غير موضع من كتاب الله - سبحانه وتعالى - وقد أشار المصنف - رحمه الله تعالى - إلى بعض المواضع الدالة على ذلك وقوله - رحمه الله - : ((**جعل الله الأسباب للمطالب العالية**))؛ أي: الأسباب التي يكون بها التيسير أو حصول الفرج والظفر بالمراد أو غير ذلك من المطالب العالية التي يريجوها العبد ويطمع في نيلها .. جعل الله - سبحانه وتعالى - تلك الأسباب مبشرات وإلا فإنه - سبحانه وتعالى - قادر على أن يوصل تلك المطالب إلى هؤلاء بدون تلك الأسباب لكنه جعلها - سبحانه وتعالى - بين يدي نيل المطالب العالية مبشرات للعباد حتى تأنس القلوب وتطمئن النفوس ويزداد الإيمان وبالمثال يتضح المقال.

قال رحمه الله: ((وهذا في عدة مواضع من كتابه فمن ذلكم: النصر،

النصر هذا مطلب من المطالب العالية ومقصد من المقاصد النبيلة التي ينشدها المؤمن ويرجوها)).

((قال في إنزاله الملائكة))؛ هذا سبب .

لإنزال الملائكة سببٌ لنيل هذا المطلب سببٌ للنصب .

لماذا أنزل الله - سبحانه وتعالى - الملائكة وأهو - جل وعلا - قادر على أن ينصر عباده دون إنزال الملائكة؟ فهذه مبشرات ؛جعل الله - سبحانه وتعالى - الأسباب للمطالب العالية بمثابة المبشرات لماذا؟

- لتطمئن القلوب ويزداد الإيمان؛ ولهذا قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ

وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وما النصر إلا من عند الله ؛ النصر لا يقع ولا يكون إلا بإذنه أو مشيئته - سبحانه وتعالى - .

فلماذا أنزل - سبحانه وتعالى - الملائكة؟ أنزول الملائكة سبب من أسباب النصر لماذا جعل الله - سبحانه وتعالى - هذا السبب؟

- مبشرات أولتطمئن القلوب ولهذا قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾



﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ يعني : نزول الملائكة ; مع أن النصر يمكن أن يحصل بدون النزول لكن شاء الله - سبحانه وتعالى - أوقدراً واقتضت حكمته: أن يكون النصر عقب نزول الملائكة أنزولهم سبب من أسباب النصر أو السبب في ذلك أن الله - جل وعلا - جعل هذا النزول للملائكة تطمين القلوب ; تطمئن القلوب بنزول الملائكة ويحصل لهم البشري .

فهذا مثال للقاعدة ; جعل الله - سبحانه وتعالى - الأسباب للمطالب العالية مبشرات .

المثال الثاني: (قال وفي أسباب الرزق أنزل المطر)

قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الروم: ٤٦]

﴿يُرْسِلَ الرِّيحَ﴾: إرسال الرياح سبب لمطلب من المطالب الذي يقصدها العباد وهو نزول المطر وحصول الرزق أو الله - سبحانه وتعالى - جعل بين يدي هذا المطلب وهو نزول المطر سبباً وهو إرسال الرياح .

إرسال الرياح قبل الأمطار وهو - جل وعلا - قادر على أن ينزل الأمطار بدون هذه الرياح فجعل هذا السبب بين يدي هذا المطلب بشري للعباد فتأتي الرياح تسبق الأمطار مبشرة ; مبشرة العباد بنزول الأمطار وهذا فيه فوائد ; إضافة إلى ما يكون في النفوس من بشري أو سلوى أو راحة .

أيضا يتهيأ العباد ويستعدوا في ترتيب أمورهم أو أوضاعهم قبل نزول الأمطار .

قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ مبشرات بماذا؟

- مبشرات بنزول المطر الذي هو مطلب من المطالب التي يرجوها العباد .

المثال الثالث : قال : وأعم من ذلك كله قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢)

الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿[يونس: ٦٢-٦٣-٦٤].

أولاً: معنى الآية : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾

﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾؛ أي: أصفياؤه أو المقربون إليه - سبحانه وتعالى - أ

وهم على درجتين ; جاء بيانهما في الحديث القدسي حيث قال - عليه الصلاة والسلام - : ((قال الله تبارك وتعالى : "من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) فذكر عز وجل درجتين للأولياء:

الدرجة الأولى: المحافظة على الفرائض وترك المحرمات؛ فكل من كان محافظاً على الفرائض تاركاً للمحرمات فهو من الأولياء، وهو من المقتصدين أقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢]

فالمقتصد: الذي فعل الواجب وترك المحرم، ومن كان كذلك فهو من أولياء الله، وهو مستحق ما يستحقه الولي من التأييد والنصر والبشارة والظفر وغير ذلك...

والدرجة الثانية: بينها في الحديث القدسي في قوله: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) والتقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - بالنوافل مرحلة تأتي بعد المحافظة على الفرائض؛ فهذه مرتبة عالية في الولاية، وهي مرتبة السابقين بالخيرات فهؤلاء كلهم أولياء الله - سبحانه وتعالى - قال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]

اجتمع في حق الأولياء "نفي الخوف ونفي الحزن"، واجتماع نفيهما في موضع واحد يفيد: أن الحزن يتعلق في الأشياء التي تركها الإنسان من ضيعة أو أولادٍ أو غير ذلك...، والخوف يتعلق مما هو قادم عليه.

فقوله في حق الأولياء: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: لا خوفٌ عليهم مما هم قادمون عليه؛ لأنهم قادمون على رحمة الله وفضله وإكرامه وإنعامه،

ولا حزن عليهم فيما هم تاركونه؛ لأنهم في حفظ الله

كما قال في آية أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]؛ وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: ٣٠]

لا تخافوا أي: ممّا أنتم قادمون عليه.

ولا تحزنوا: على ما تركتم من ضيعةٍ أو أولاد فالكل في حفظ الله - سبحانه وتعالى - : ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ثم عرّفهم قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]

أي: الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى،

"واجتماع الإيمان والتقوى": يعني أنّ الإيمان في جانب فعل المأمور والتقوى في جانب ترك المحذور، وسيأتي عند المصنف قاعدة قريباً تتعلق بالأسماء حال الاجتماع والافتراق، وأنّ من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، وإذا قرُن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دالٌّ على باقيها وهذه الآية الكريمة فيها شاهدان للقاعدة:

الشاهد الأول في قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

والشاهد الثاني في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾؛

اجتماع الحزن والخوف واجتماع الإيمان والتقوى، وهما من الأسماء الذي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت.

آمنوا: تدل على الطاعات، والتقرب إلى الله - سبحانه وتعالى - بأنواع العبادات.

وكانوا يتقون: تدل على اجتناب المحرمات، والبعد عن النواهي والمعاصي والآثام فهذه حال أهل الولاية.

أهل الولاية أهل طاعة أو تجنب للمعصية

أمّا الذي يترك الطاعات ويمارس المعاصي فهذا ليس من أولياء الله وإنما هو من أولياء الشيطان ؛ لأن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ..

أهل الإيمان والتقوى فمن كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً قال: "لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" موضع شاهد للقاعدة

(**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) أي: لهم في الدنيا مبشراتٍ تطمئن بها قلوبهم ويزداد بها إيمانهم وتأنس نفوسهم تكون بين يدي نيل المطالب العالية وهي: الجنة والنجاة من النار والفوز بموعد الله الكريم وثوابه العظيم الذي أعدّه لأولياءه المتقين فهؤلاء لهم البشرى في الدنيا ماهي هذه البشرى ؟

قال: **لهم البشرى** ولم يعين نوعاً والقاعدة مرت معنا أن الحذف يفيد التعميم ولهذا يقول الشيخ: **لهم البشرى في الحياة الدنيا وهي كل دليل وعلامة تدلهم على أن الله قد أراد بهم الخير وأنهم من أولياءه وصفوته**

وضرب على ذلك أمثلة : قال: **فيدخل فيه الثناء الحسن والناس شهداء الله في أرضه**

الثناء الحسن: يعني رجل لا يعرف عند الناس إلا بالذكر الطيب لا يعرفونه إلا بالخير بالصلاح بالاستقامة وليس على ألسنتهم ذكر له إلا بالثناء الحسن.. هذه من المبشرات

كذلك " الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له " الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له هذه أيضاً من المبشرات ..

ولهذا قال: العلماء بحق الرؤيا قالوا: **الرؤيا يستفاد منها في البشارة والندارة أما تقرير الأحكام فلا لا يجوز أن يقرر حكم بناءً على رؤيا**

مثل شخص يأتي ويقول هذا الذكر المواضبة عليه في الصباح مفيدة جداً إيش الدليل ؟ - قال: رأيت في المنام كيت وكيت ..! هذا لاقيمة له ولا عبرة به ولا يلتفت إليه! وما أكثر ما يكتب كتب فيها أذكار محدثة وأدعية مبتدعة ويبنيها أصحابها على رؤى ومنامات هذا كله لاقيمة له ولا اعتبار له ..

- الرؤيا يستفاد منها في البشارة

- يستفاد منها في الندارة

- أما تقرير حكم عبادة ذكر دعاء أو غير ذلك هذا غير مقبول؛ لأن دين الله كامل وليس بحاجة إلى أن يكمل

برؤى ومنامات ونحو ذلك ...

" **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** " [المائدة: ٣] فالدين كامل لا يحتاج

أن يكمل برؤيا منامية ولا يحتاج أن يكمل بتجربة من أحد الأشخاص فهذا باب تام وكامل لامجال الزيادة فيه وقد

قال - عليه الصلاة والسلام - : " **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** " :

أي مردود على صاحبه وغير مقبول منه.

لكن يستفاد منها في البشارة : شخص رؤية له رؤيا صالحة أو رؤى صالحة يستبشر بذلك والعلماء أيضاً يقولون هنا : الرؤيا الصالحة تسر المؤمن ولا تغره : تسر المؤمن : عندما ترى له يسر بذلك لكن لا يغترأ لا يدخله غرور أو عجب بنفسه ثم يبدأ يدخل في شيء من الغرور أو العجب أفيهلك نفسه ويضرها فالرؤيا تسر المؤمن لكن لا يغتر بها : لا يقول عن نفسه : أنا من الأولياء أو يزكي نفسه بناءً على الرؤيا والله يقول : **"فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى"** لكن يأنس المؤمن يطمئن يستبشر أما من يغتر ويجزم لنفسه بأنه من الأولياء أو بأنه من الأصفياء أو غير ذلك من التزكيات فإن هذا لا يجوز .

"(فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)"

فإذن الرؤيا يستفاد منها في البشارة ويستفاد منها في النذارة

وهذا أضرب عليه مثالا للتوضيح ذكره بعض أهل العلم مثال لمجئ الرؤيا في النذارة:

ذكر بعض أهل العلم أن أحد الشباب كان محافظاً محافظةً تامةً على غض البصر ، غض بصره عن المحرمات .

يوماً من الأيام ذهب إلى محل ليشترى منه حاجة ، وجلس عند صاحب المحل يتحدث معه فجاءت شابة جميلة تشتري ، فعلى غير عادته سارقها النظر ، وأخذ ينظر ويكرر النظر على غير عادته ، كان متعففاً بعيداً عن هذا ، في ليلتها نام ، ورأى نفسه في المنام أنه عند القاضي ، في المحكمة ، وقرأ القاضي الحكم : **(الرَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ)** سورة النور ثم جيء بالجلاد وقالوا له : اجلده ، وبدأ يجلده ، هذا حصل له في المنام . لما استيقظ ، شعر أن هذا الذي حصل له في المنام نذارة له لوقوعه في تلك المخالفة لما كان معتاداً عليه من غض بصره . هل في هذه الرؤيا استخلص حكم جديد ؟

لا ليس هناك حكم جديد ، لكن هذا حصلت منه فلتة وزلة وجاءت هذه الرؤيا في المنام نذارةً له ، لا يوجد فيها حكم جديد .

وهذا معنى قول أهل العلم : إنَّ الرؤيا المنامية يستفاد منها في البشارة والنذارة أما تقرير حكم جديد برؤيا هذا باطل ، لا يحل ولا يجوز بل هو فتح لباب البدع والضلالات .

قال : **والرؤيا الصالحة .**

ويدخل فيه ما يشاهدونه من اللطف والتوفيق والتيسير اليسرى وتجنبيهم للعسرى . هذا يلحظه بعض الناس عندما يلتزم ويستقيم ويمشي على الجادة . تجده يتحدث عن نفسه يقول: أنا كانت أموري متعسرة ، لكن من فضل الله من حين استقمت ومشيت على الجادة ، الأمور مفتحة ومتيسرة .

هذا التيسير الذي حصل له بعد استقامته ولزومه الجادة هذا أيضا من المبشرات ، وهو داخل تحت عموم قوله :
(لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

- لهم البشرى بالثناء الحسن ، على ألسنة الناس (لسان الصدق)
- ولهم البشرى بالرؤى الصالحة التي يرونها أو ترى لهم ،
- ولهم أيضا البشرى الصالحة بالتيسير والتوفيق واللطف وزوال التعسير وغير ذلك من المعاني

قال : **ومن ذلك -** يعني من أمثلة هذه القاعدة - **بل من ألطف ذلك ، أنه يجعل الشدات مبشرات بالفرج .**

أي أن الأمر يشتد على المرء على أشد ما يكون بالشدّة ويكون في هذا الاشتداد الفرج .

وإذا ضاق الأمر اتسع ، ويجعل الله - سبحانه وتعالى - الفرج بعد اشتداد الأمور ، فهذا من ألطف ما يكون في هذا الباب أن الله - سبحانه وتعالى - يجعل فرجاً حيث يشتد به الأمر أشد ما يكون وقد جاء في حديث صحيح - حسنه بعض أهل العلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره**)) عجب ربنا من قنوط عباده : أي دخول القنوط على قلوبهم وقرب غيره مع أن تغيير الحال أقبل عليهم وصل ، وصل التغيير إلى أحسن ما يكون فيقول :

((**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره**)) أي : قرب تغييره لحالهم من شدة إلى فرج ومن عسر إلى يسر ،

قال : ((**ومن ذلك بل من ألطف ذلك أن يجعل الشدات مبشرة بالفرج والعسر مؤذنا باليسر**)) وهذا التنبيه الذي ذكره الشيخ رحمه الله إذا استحضره المسلم ووعاه طرد عنه بإذن الله القنوط واليأس أبل يدخل عليه الأمل وأن فرج الله - سبحانه وتعالى - قريب وأن مع هذه الشدة يسر قادم ،

قال : ((وإذا ما تأملت ما قصّه عن أنبيائه وأصفياه وكيف لما اشتد بهم الحال وضائق بهم الأرض بما رحبت وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله)) حصل لهم شدة وكرب لا يعلم به إلا الله - سبحانه وتعالى - وزلزلوا أي : أنواعا من الزلزلة بتسلط الأعداء ومكرهم وشدة أذاهم للمسلمين قتلا وإيذاء وغير ذلك ، زلزلوا أي : أنواعا من الزلزلة

﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤] .. فهذا شاهد لهذا الأصل : وهو أن الله يجعل الشدات مبشرات بالفرج قال : إذا تأملت ما قصه الله عن أنبياءه رأيت من ذلك العجب العجائب :

يعني في ضائقات وشدات عظيمة ثم يأتي فرج لم يحسب له حساب ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦].

وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) ﴾ [الشرح] وقال : ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧] وأكد على ما سبق وهو أن العبد إذا ضاقت به الأمور واشتد به الحال وعظمت به الكرب يقوي أمله بالله ويقوي صلته بالله وليثق أن فرج الله قريب وعليه ألا يقنط ولا ييأس ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال : وقال عليه الصلاة والسلام : ((وأعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب)) وأن الفرج مع الكرب : هذا موضع الشاهد يعني إذا اشتد الكرب جاء الفرج فرج الله - سبحانه وتعالى - وتفريجه لعبده وتيسيره له وأن مع العسر يسرا وهذا أيضا فيه شاهد وأمثلة ذلك كثيرة، والله أعلم .

بمناسبة هذه القاعدة بعض الإخوة الأفاضل الكرام ممن نلتقي بهم وتلتقون بهم يعانون حقيقة من شدات وضوائق وبعضهم ربما أن الأمر والكرب طال به؛ لأن بعض الإخوة ربما يعاني من أمراض آلمته مدة من الزمن وربما بعضهم لا يتيسر لهم نوم ولا يطيب له فراش من معاناة يجدها وبعضهم عنده ضوائق مالية وهو في كرب شديد وفي ألم ينظر إلى حاله وحال أولاده ووضع أسرته وأفراد بيته .

من يعول ويجد أنه في ضوائق شديدة وأيضا متحمل لديون فيجد في نفسه ضائقات وشدات وكرب لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى - وآخرون مصاب من سنوات بنوع من الأمراض ربما يكون مصابا بعين أو بعضهم مصابا بسحر ويكون في شدة وكرب ما يعلم به إلا رب العالمين - سبحانه وتعالى - والمؤمنون آلامهم واحدة وآمالهم واحدة ودعوتهم واحدة ولهذا ينبغي أن يحرص المسلم ولا سيما في خلوته أن يدعو لإخوانه وأن يكون لهم من دعوته

نصيب وهذا أمر بينه الله - سبحانه وتعالى - وذكره في نهج الأنبياء ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]

وفي دعاء المؤمنين قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ [الحشر: ١٠]

ولهذا ينبغي للمسلم أن يحس بشدات إخوانه وآلام إخوانه وكرهم وأن يكون لهم من دعائه نصيب وكما أنه يحب فيما لو كان به ضائقة أو شدة يحظى بدعوة إخوانه له بالفرج والتيسير والتوفيق والعون فليكن مع إخوانه كذلك والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وإننا في هذا المقام نتوجه إلى الله - جل وعلا -

نسأله - سبحانه وتعالى - بكل اسم هو له نسأله بأنه الله الذي لا إله إلا هو

نسأله بأنه - جل وعلا - له الحمد وحده لا شريك له المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام الحي القيوم نسأله تبارك وتعالى وهو فارح الهم وكاشف الغم أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء نسأله جل وعلا بكل اسم هو له سمى به نفسه أو أنزله في كتابه أو علمه أحدا من خلقه نسأله جل وعلا وهو مجيب الدعاء القائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]

نسأله جل وعلا بأنه الله الذي لا إله إلا هو الذي وسع كل شيء رحمة وعلما أن يفرج هم المهمومين وأن ينفس كرب المكروبين وأن يقضي الدين عن المدينين وأن يشفي مرضانا ومرضئ المسلمين نسأله تبارك وتعالى أن يكون لكل مبتلى من إخواننا حافظا ومعينا ومؤيدا ومسددا ونسأله تبارك وتعالى أن يأتي لنا جميعا بالفرج والتوفيق والعون والتيسير وألا يكلنا إلا إليه فإنه - سبحانه وتعالى - نعم المعين ونعم الموفق لا شريك له

قال - رحمه الله تعالى - : ((القاعدة السادسة عشرة:

حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدته في مقامات الوعيد

وذلك في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢]

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ فَزَعُوا فَلَافَتُوا﴾ [سبا: ٥١]

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠]

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧]

فحذف الجواب في هذه الآيات وشبهها أولى من ذكره ليدل على عظمة ذلك المقام وأنه لهوله وشدته وفضاعته لا يعبر عنه ولا يدرك بالوصف

ومثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]؛ أي: لما أقمتم على ما أنتم عليه من التفريط والغفلة واللهو))

ثم ذكر - رحمه الله تعالى - هذه القاعدة وهي "القاعدة السادسة عشرة" قال: ((حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدته في مقامات الوعيد))

حذف جواب الشرط يأتي في آيات كثيرة والشيخ - رحمه الله تعالى - ساق عليه بعض الأمثلة وذكر أن هذا الحذف له حكمة: وهي أن في ذلك دليل على تعظيم الأمر وشدته أفحذف جواب الشرط. يفيد تعظيم هذا الأمر الذي حذف وشدته وأخفى ولم يذكر لفضاعته وشدته وكونه أمراً مهيناً عظيماً.. وهذا أيضاً يتضح بالأمثلة قال وذلك كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢] ماذا حصل؟ - لم يذكر

: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ لم يذكر الجواب: أي لفضاعة الشيء الذي يذوقونه والعذاب الذي ينالونه في ذلك المقام،

وكذلك قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ قَالَ قُوتِي﴾ [سبأ: ٥١] أيضاً لم تذكر العقوبة ولم يذكر جواب الشرط لفضاعة الأمر الذي سيؤن به.

قال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ﴾

لم يذكر ماذا يحصل لهم ونوع الشدة التي ينالونها حذف ذلك تنبيها على عظمه وفضاعته وشدته قال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] ماذا؟ لم يذكر؛ لفضاعة الأمر وشدته

فإذن الحذف في مثل هذه الآيات حذف جواب الشرط يفيد تعظيم الأمر وشدته في مقامات الوعيد : يعني إذا كان هذا الحذف جاء في مقامات الوعيد فهذا يدل على شدة العقوبة وفضاعتها.

قال: ((فحذف الجواب أو فحذف الجواب في هذه الآيات وشبهها أولى من ذكره، ليدل على عظمة ذلك المقام، وأنه لهوله وشدته وفضاعته لا يعبر عنه ولا يدرك بالوصف، ومثله قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] أي: لما أقمتم على ما أنتم عليه من التفريط والغفلة واللهو))

الشاهد أن: هذه القاعدة تفيد أن حذف جواب الشرط في مقام التهديد والوعيد يفيد تعظيم الأمر وشدّة العقوبة.

قال رحمه الله تعالى:

((القاعدة السابعة عشرة: بعض الأسماء الواردة في القرآن إذا أفرد دل على المعنى العام المناسب له، وإذا قرن مع غيره دل على بعض المعنى، ودل ما قرن معه على باقية)) ولهذه القاعدة أمثلة كثيرة:

منها: الإيمان أفرد وحده في آيات كثيرة وقرن مع العمل الصالح في آيات كثيرة.

فالآيات التي أفرد فيها يدخل فيه جميع عقائد الدين وشرائعه الظاهرة والباطنة؛ ولهذا يرتب الله عليه حصول الثواب والنجاة من العقاب ولولا دخول المذكورات ما حصلت آثاره وهو عند السلف: ((قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح)) والآيات التي قرن الإيمان فيها للعمل الصالح: كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧]

يُفسّر الإيمان فيها بما في القلوب من المعارف والتصديق، والاعتقاد والإنابة. والعمل الصالح بجميع الشرائع القولية والفعلية))

ثم ذكر هذه القاعدة وهي تتعلق بعدد من أسماء الواردة في القرآن والسنة مثل: (الإيمان والإسلام؛ والفقير والمسكين؛ والبر والتقوى؛ والإثم والعدوان وأسماء كثيرة تأتي في الكتاب والسنة...)

قال أهل العلم عنها: "إنها إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت إذا"

إذا اجتمعت: أي في نص واحد

افترقت: أي في المعني أ

وإذا فترقت أي في ذكر كل واحد منهما ذكره على حده اجتمعت في المعني و الشيخ - رحمه الله - ذكر هذه القاعدة بهذه الصيغة وهي موجودة عند أهل العلم ذكره بصيغاً ولكن ذكر بهذه الصيغة وهي عبارة الحافظ بن رجب - رحمه الله تعالى - في كتاب "جامع العلوم والحكم" ذكره بهذا اللفظ أو قريباً منه وضرب عليها أمثلة.

قال - رحمه الله - :

إن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات والاسم المقرون به دالاً على باقيها: مثال ذلك الإيمان :

الإيمان إذا أفرد وأطلق صار دالاً على مسميات متعددة بل هو دالاً على الدين كله جملة وتفصيلاً فالإيمان إذا أطلق يشمل الدين كله :يشمل الدين بعقائده التي تكون في القلوب ويشمل الدين بالأعمال التي تكون على الجوارح أفهذه إيمان وهذه إيمان وإذا أفرد الإيمان وأطلق يشمل ما يكون في القلب من عقائد و ما يكون على الجوارح من أعمال وطاعات.

لكن إذا ضُم إلى الإيمان الإسلام فذكرنا معاً في نص واحد أماذا يكون حين إذ؟ - يكون الإيمان دالاً على بعض تلك المسميات أو اسم المقرون به وهو الإسلام دالاً على باقيها ونحن عرفنا أن الإيمان إذا أفرد يدل على أمرين:

- يدل على العقائد التي في القلب

- ويدل على الأعمال التي تكون في الجوارح

فإذا ضممت إليه الإسلام قلت : الإيمان والإسلام:

- يصبح الإيمان دال على العقائد

- ويصبح الإسلام دال على الأعمال:

مثل ما اجتماعاً في حديث جبريل قال : أخبرني عن الإيمان؟ - فذكر العقائد :

" أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ وَأَنْ تُوَظَّعَ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ)

وذكر الإسلام فعرفه بالأعمال والشرائع.. قال : أخبرني عن الإسلام ؟

قال: ((أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامَ)).

فعرّف الإسلام بالشرائع أو عرف الإيمان بالعقائد

- لكن لو ذكرت الإيمان وحده مفردًا بدون أن تضم إليه الإسلام : يصبح الإيمان شاملاً لذلك كله

- أيضا الإسلام لو ذكرته مفردًا دون أن تضم إليه الإيمان يصبح أيضا شاملاً للعقائد والأعمال..

مثل قوله: إن الدين عند الله الإسلام.. ما المراد بالإسلام هنا ؟

وأیضا قوله: من يتغي غير الإسلام دينا؟ وقوله : اليوم أكملت لكم دينكم ورضيت لكم الإسلام دينا؟

- - المراد بالإسلام الدين كله عقيدة وشریعة

- لكن إذا ضمنت الإيمان والإسلام معًا وذكرتهما معا يصبح الإيمان في العقائد :يفسّر بالعقائد أ والإسلام يفسر

بالشرائع... مثل ما هو واضح في حديث جبريل -

مثل الشيخ هنا للإيمان والعمل الصالح :إذا ذكر الإيمان وحده العمل الصالح داخل فيه لكن إذا ضم إليه العمل

الصالح أصبح المراد بالإيمان :العقائد التي تكون في القلوب

يكون منها منها: الإيمان أفرد وحده في آيات كثيرة وقرن مع العمل الصالح في آيات كثيرة.

فالآيات التي أفرد فيها يدخل فيه جميع عقائد الدين وشرائعه الظاهرة والباطنة؛ ولهذا يرتب الله عليه حصول الثواب

والنجاة من العقاب ولولا دخول المذكورات - أي: الأعمال الصالحة - ما حصلت آثاره أو هو عند السلف: ((قول

القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح))

وهذه أمور خمسة كلها داخلة في مسمى الإيمان قال: والآيات التي قرن الإيمان فيها للعمل الصالح: كقوله: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧]

يفسر الإيمان فيها بما في القلوب من المعارف، والتصديق، والاعتقاد، والإنابة، والعمل الصالح يفسر بجميع

الشرائع القولية، والفعلية؛

يعني: إذا قرأت قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧]

في مواضع من القرآن.

• فإن المراد بالإيمان هنا العقائد ... لماذا؟

لأنه: ضُم إليه العمل، وهو داخل في مسمى الإيمان لكن ضمه للإيمان عطف للخاص على العام؛ لأن: العمل الصالح داخل في الإيمان، وهو جزء من مسماه ويأتي في القرآن كثيرا عطف الخاص على العام، أو أن يعطف على الشيء بعض أفرادها؛ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]،

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٨]

جبريل من الملائكة عطف عليه مع أنه منهم فهذا يأتي في القرآن كثيرا

• وكذلك لفظ البر والتقوى، فحيث أفرد البر دخل فيه امثال الأوامر، واجتناب النواهي، وكذلك إذا أفرد في التقوى.

• ولهذا يرتب الله على البر، وعلى التقوى عند الإطلاق الثواب المطلق، والنجاة المطلقة كما يرتبه على الإيمان،

وتارة يفسر أعمال البر بما يتناول الأفعال الخيرة وترك المعاصي، وكذلك في بعض الآيات تفسير خصال التقوى. كما في قوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] إلى آخر ما ذكره من الأوصاف التي تتم بها التقوى.

وإذا جمع بين البر والتقوى، مثل قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] كان البر اسماً جامعاً لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال الظاهرة والباطنة، وكانت التقوى اسماً جامعاً يتناول ترك جميع المحرمات.

هذا مثال آخر للقاعدة: البر والتقوى

البر والتقوى إذا ذكرا معاً كما في قوله تبارك تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] فإن المراد بالبر: فعل الأوامر، والمراد بالتقوى: ترك النواهي،

لكن إن ذكر البر وحده ليس مضمومًا إليه التقوى تناول الأمرين؛ يراد بالبر فعل الأوامر، وترك النواهي،

وأيضًا إذا ذكرت التقوى وحدها لم يكن مضمومًا إليها البر، فإنها أيضًا تفسر بفعل الأوامر وترك النواهي، لكن إذا ذكرنا معًا كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] فإن المراد بالبر فعل الأوامر، والمراد بالتقوى ترك النواهي.

وكذلك لفظ الإثم والعدوان إذا قرنت فسر الإثم: بالمعاصي التي بين العبد، وبين ربه، والعدوان: بالتجري على الناس في دمائهم، وأموالهم وأعراضهم، وإذا أفرد الإثم دخل فيه كل المعاصي التي تؤثم صاحبها، سواء كانت بينه وبين ربه، أو بينه وبين الخلق، وكذلك إذا أفرد العدوان.

ثم ذكر هذا المثل "الإثم، والعدوان":

وهم ما جاء في تنمة الآية المتقدمة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]

فالإثم، والعدوان إذا ذكرنا معًا كما في هذه الآية المراد بالإثم: المعصية التي بين العبد وبين الله،

والمراد بالعدوان: أي: ما يقع من العبد من تعديات وتجاوزات تلحق العباد، هذا إذا ذكرنا معًا - الإثم والعدوان -،

أما إذا أفرد الإثم؛ فإنه يتناول الأمرين معًا؛ لأن عصيان العبد لربه إثم، واعتداء العبد على إخوانه في أعراضه أو أموالهم أو غير ذلك هذا أيضًا إثم، فإذا الإثم إذا أفرد يشمل هذا كله لكن إذا ذكرنا معًا ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] نقول المراد بالنهي عن التعاون على الإثم أي: على فعل معصية تتعلق بالله - سبحانه وتعالى - والمراد بالعدوان على فعل معصية تتعلق بالعباد في أعراضهم أو أموالهم أو غير ذلك

((وكذلك لفظ العبادة والتوكل ولفظ العبادة والاستعانة إذا أفردت العبادة في القرآن تناولت جميع ما يحبه الله ويرضاه ظاهرًا وباطنًا ومن أول ما يدخل فيها التوكل والاستعانة وإذا جمع بينها وبين التوكل والاستعانة نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] فسرت العبادة بجميع المأمورات الباطنة والظاهرة أو فسرت التوكل باعتماد القلب على الله في حصولها وحصول جميع المنافع ودفع المضار مع الثقة التامة في الله في حصولها))

هذا مثال آخر لفظ العبادة والتوكل ولفظ العبادة والاستعانة الآن إذا قرأنا قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] أمر الله - سبحانه وتعالى - بعبادته يدخل في قوله {اعبدوا ربكم} التوكل أو لا يدخل؟ الاستعانة تدخل أو لا تدخل؟

- تدخل؛ لأنها كلها عبادات داخلية في التوكل فإذا العبادة إذا أطلقت تشمل هذا كله " تشمل الاستعانة وتشمل التوكل وتشمل أشياء أخرى داخلية في مسمى العبادة.. "

- لكن إن جاء في نص عطف الاستعانة على العبادة أو عطف التوكل على العبادة ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ماذا يقال حينئذ ؟

- يقال : المراد بالعبادة فعل المأمورات الباطنة والظاهرة

- ويكون المراد بالتوكل اعتماد القلب على الله - سبحانه وتعالى - - فيصبح هذا الاسم " وهو التوكل " شامل لبعض المسمى وباقي المسمى تشمله العبادة وهذه هي القاعدة: يكون التوكل شامل لبعض المسمى أو تكون العبادة وهي الاسم الآخر شاملة لباقى المسمى.

((وكذلك الفقير والمسكين إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر كما في أكثر الآيات وإذا جمع بينهما في آية الصدقات: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] فسر الفقير بمن اشتدت حاجته وكان لا يجد شيئاً أو يجد شيئاً لا يقع منه موقعا أو فسر المسكين بمن حاجته دون ذلك))

ثم ذكر أيضا هذا المثال: الفقير والمسكين

يأتي ذكر الفقير والمسكين مقرونين معا كما في آية الصدقة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] وهذا يدل على أن الفقير غير المسكين الفقراء شيء والمساكين شيء آخر

لكن يأتي في بعض الآيات ذكر الفقراء وحدهم بدون ذكر المساكين وأحيان يأتي ذكر المساكين وحدهم بدون ذكر الفقراء.

فإذا ذكر اسم الفقير وحده شمل المعنيين وإذا ذكر أيضاً هذا الاسم وحده شمل المعنيين فإذا قرنا معا في نص واحد كما في هذه الآية ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] فسر الفقير: بمن اشتدت حاجته أو قيل أخذ هذا الاسم من انفقار الظهر أي عني أن الحاجة والشدة أقعدته

والمسكين: هو من أسكنته الحاجة وهو دون ذلك

فإذا قرنا معا أصبح لهذا معنى ولذلك معنى وإذا أفرد كل منهما شمل المعنيين

((ومثل ذلك الألفاظ الدالة على تلاوة الكتاب والتمسك به وهو أتباعه يشمل ذلك القيام بالدين كله فإذا قرنت معه الصلاة كما في قوله تعالى -: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] كان ذكر الصلاة تعظيماً لها وتأكيداً لشأنها وحثاً عليها وإلا فهي داخلة بالاسم العام وهو التلاوة والتمسك به وما أشبه ذلك من الأسماء))

ثم ختم - رحمه الله تعالى - بهذا المثال قال: ((من الألفاظ الدالة مثل ذلك الألفاظ الدالة على تلاوة الكتاب والتمسك به))

تلاوة الكتاب؛ ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]،

والمراد بتلاوة الكتاب: التمسك به كما في قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَتَّى تَلَوتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١]؛ لأن التلاوة أعم من مجرد القراءة وأعم من مجرد حفظ حروف القرآن، لأن التلاوة تكون بالقراءة وتكون بالفهم والعمل بالقرآن؛ كل ذلك يقال له تلاوة

فقوله: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ليس المراد به مجرد القراءة فقط؛ بل يشمل القراءة والفهم والعمل... كل ذلك يُعدّ تلاوة

والعمل نفسه يُعدّ تلاوة، اتباع القرآن والعمل بما جاء فيه يُعدّ تلاوة للقرآن؛

أي: تبعه فتالي القرآن: هو الذي يتبع القرآن أو يعمل بما جاء في القرآن الكريم إذا علِمَ ذلك قوله: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ إقامة الصلاة هي في حد ذاتها تلاوة للكتاب أليس كذلك؟

فإقامة الصلاة تلاوة للكتاب الذي يصلي تلا القرآن، ما معنى الذي يصلي تلا القرآن؟ - يعني تبع القرآن، أمره الله - سبحانه وتعالى - في القرآن بالصلاة فصلّي إذا المصلي تالي للقرآن بمعنى متبع للقرآن فقوله: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] هذا يشمل الصلاة ح لأن الصلاة من تلاوة القرآن، عطفت الصلاة هنا قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥] مع أنها داخلة في قوله: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

كذلك المثال الثاني قال: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] إقامة الصلاة أليس هو التمسك بالكتاب؟

- بلى! إقامة الصلاة هي التمسك بالكتاب؛ فإذا لما عطف إقامة الصلاة على تلاوة الكتاب وعلى التمسك بالكتاب مع أنه داخل في عموم ذلك يقول الشيخ: ((كان ذكر الصلاة تعظيماً لها وتأكيداً لشأنها وحثاً عليها

وإلا هي داخلة بالاسم العام وهو التلاوة والتمسك))

داخلة في الاسم العام التلاوة؛ لأن الصلاة تلاوة للقرآن

والصلاة تمسك بالقرآن

والذي لا يصلي ليس تالٍ للقرآن ولا متمسكٌ بالقرآن؛ حتى ولو حافظَ لحروف القرآن إذا لم يكن مصلياً ليس تالياً للقرآن وليس داخلا في قوله: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥]؛ لأن التلاوة تتناول القراءة وتتناول الفهم وتتناول أيضا العمل بالقرآن الكريم.

اضرب مثالا توضيحي للتلاوة :

قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣] : لو أن طالبًا في حلقة تحفيظ القرآن حفظ هذه الآية حفظًا متقنًا، وكتب له معلم التحفيظ الدرجة مئة من مئة لبس عليه أي ملاحظة ولكنه عاق لو الدية والعباد بالله،

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا
تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]

عند المعلم أخذ مئة من مئة وفي التطبيق لهذه الآية يقول لوالديه: (أف) مرات وكرات أوينهر والديه ويغلظ على والديه ويشتد على والديه!

ما هي درجته في هذه الآية؟

- صفر من مئة، هل هو تالي لهذه الآية!؟

- لا ليس تالياً؛ لأن التلاوة ليس بمجرد إقامة الحروف ولا بمجرد حفظ حروف القرآن أتلاوة القرآن بالعمل

تلاوة القرآن بالعمل بالقرآن الكريم..

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنا جميعاً من أهل القرآن الذين هم من أهل الله وخاصته